سلسلة تراث الإمام الشوكاني (٧)

وبل الغمامة في تفسير ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾

تأليف

محمد بن علي الشوكاني

حقَّقه وعلَّق عليه

محمد صبحي بن حسن حلاق

ⓒ مكتبة دار البيان الحديثة ١٤٢٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشوكاني ، محمد علي
وبل الغمامة / تحقيق محمد صبحي حلاق ـ الطائف
٥٢ ص ؛ ١٤ X ٢٠ سم .
ردمك : ٥ ـ ٦ ـ ٩٢٢٠ ـ ٩٩٦٠
١ ـ القرآن ـ سورة آل عمران ـ تفسير
أ ـ حلاق ، محمد صبحي
ديوي ٦، ٢٧٧ ١١٩٧/ ٢٠

رقم الإيداع : ١١٩٧/ ٢٠
ردمك : ٥ ـ ٦ ـ ٩٢٢٠ ـ ٩٩٦٠

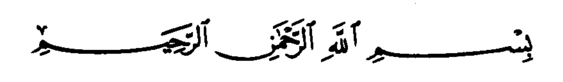
الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م

ردمك : ٥ ـ ٦ ـ ٩٢٢٠ ـ ٩٩٦٠

الإهداء

- إلى الذين آمنوا بما أُنْزِلَ إليهم من ربهم..
- إلى الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر..
- إلى الذين لم يفرقوا بين أحد من رسل الله..
- إلى الطائفة التي لا تزال ظاهرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها..

أقدم إنتاجي
أبو مصعب


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي

محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد:

● فإن الله بعث في كل أمة رسولاً منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده، والكفر بما يُعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون، بارون راشدون، هداة مهتدون؛ وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلّغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا ولم يغيروا ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفًا، ولم ينقصوه، وأنهم جميعًا كانوا على الحق المبين. وأن الله فضّل بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات..

هذا هو معنى الإيمان بالرسل ودليله قول الله عز وجل في سورة النساء الآيات (١٥٠ ـ ١٥٢): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ﴾.

● وقد اتفقت دعوة الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم

على أصل العبادة وأساسها، وهو التوحيد وذلك بأن يفرد الله تعالى بجميع أنواع العبادة اعتقادًا وقولاً وعملاً، ويكفر بكل ما يعبد من دونه.

والدليل المجمل على ذلك قول الله عز وجل في سورة النحل الآية (٣٦): ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

وقوله تعالى في سورة الأنبياء الآية (٢٥): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

وأما الدليل المفصل فقول الله عز وجل في سورة المؤمنون الآية (٢٣): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

وقوله تعالى في سورة هود الآية (٦١): ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾.

وقوله تعالى في سورة هود الآية (٥٠): ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾...

● **أما شرائع الرسل الكرام فقد اختلفت في الفروع من الحلال والحرام:**

بدليل قول الله عز وجل في سورة المائدة الآية (٤٨):
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.

● أما قصصهم:

فقد قصّ الله علينا من أنبائهم ما فيه كفاية وموعظة وعبرة، قال تعالى في سورة النساء الآية (١٦٤): ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾.
فنؤمن بجميعهم تفصيلاً فيما فصل، وإجمالاً فيما أجمل...

كما نؤمن بأن محمدًا ﷺ خاتم النبيين. قال تعالى في سورة الأحزاب الآية (٤٠): ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

● أما الخصائص التي اختص بها نبينا محمد ﷺ عن غيره من الأنبياء فكثيرة قد أفردت بالتصنيف[١]:

(منها): أنه بعث ﷺ إلى الناس عامة جنّهم وإنسهم

---

(١) ومن أجمع ما أُلف في الخصائص النبوية، والمزايا المحمدية، كتاب «كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب» للإمام السيوطي. وقد طبع الكتاب في مصر محققًا بثلاث مجلدات. ويسمى هذا الكتاب أيضًا «الخصائص الكبرى».

كما قال تعالى في سورة الأعراف الآية (١٥٨): ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾.

وقال ﷺ: «والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ، لا يسمع بي أحَدٌ من هذِهِ الأمَّةِ يهوديٌ ولا نصرانيٌ، ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار» وهو حديث صحيح[١].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

---

(١) سيأتي تخريجه في هذه الرسالة إن شاء الله. ص٢٦.

ترجمة المؤلف

هو الإمام المجتهد: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني، ثم الصنعاني، ولد يوم الاثنين (٢٨) من شهر ذي القعدة من سنة (١١٧٣هـ) في «هجرة شوكان»[١].

ونشأ كما ينشأ طلاب العلم الشرعي حيث حفظ القرآن، وجوّده، وحفظ عددًا كبيرًا من المتون قبل أن يبدأ عهد الطلب، ولم تتعد سنه العاشرة من عمره، ثم اتصل بالمشايخ الكبار، وكان كثير الاشتغال بمطالعة التاريخ ومجامع الأدب[٢].

وإذا عرفنا أنه تصدر للإفتاء وهو في سن العشرين عرفنا كيف كانت حياة هذا التلميذ الجاد الذي لم يسمح له أبوه بالاشتغال بغير العلم كما لم يسمح له أبوه بالانتقال من صنعاء[٣].

---

(١) البدر الطالع (٢/ ٢١٥).
(٢) البدر الطالع (٢/ ٢١٥).
(٣) البدر الطالع (٢/ ٢١٨ و٢١٩).

وكانت دروسه تبلغ في اليوم والليلة نحو ثلاثة عشر درسًا.

(منها): مايأخذه عن مشايخه.

و(منها): مايأخذه عنه تلامذته. واستمر على ذلك مدة[1].

وقد ذكر الشوكاني في البدر الطالع[2]، الكتب التي قرأها على العلماء الأفاضل قراءة تمحيص وتحقيق، وهي كثيرة في فنون متعددة من الفقه، والحديث، واللغة، والتفسير، والأدب، والمنطق..

وقد ساعدته ثقافته الواسعة، وذكاؤه الخارق، إلى جانب اتقانه للحديث وعلومه، والقرآن وعلومه، والفقه وأصوله، على الاتجاه نحو الاجتهاد وخلع ربقة التقليد وهو دون الثلاثين، وكان قبل ذلك على المذهب الزيدي، فصار علمًا من أعلام المجتهدين وأكبر داعية إلى ترك التقليد، وأخذ الأحكام اجتهادًا من الكتاب والسنّة، فهو بذلك يعد في طليعة المجددين في العصر الحديث ومن

---

(١) البدر الطالع (٢/ ٢١٨ و٢١٩).
(٢) البدر الطالع (٢/ ٢١٥ ـ ٢١٩).

الذين شاركوا في إيقاظ الأمة الإسلامية في هذا العصر.

وقد أحسَّ بوطأة الجمود وجناية التقليد الذي ران على الأمة الإسلامية من بعد القرن الرابع الهجري وأثره في زعزعة العقيدة، واعتناق البدع، والاعتقاد في الخرافات وشيوعها، وتحلل الناس من التعاليم الدينية وانكبابهم على الموبقات والمنكرات. مما جعله يشرع قلمه ولسانه في وجه الجمود والتقليد ويقف حياته على محاولة تغيير هذه الأوضاع الفاسدة، وتطهير تلك العقائد الباطلة..[١].

أما مؤلفاته فقد بلغت (٢٧٨) مؤلفًا. طبع منها (٣٨) كتابًا وما زال الباقي مخطوطًا يحتاج إلى تحقيق ونشر[٢].

وإني لأرجو أن يتمكن رواد العلم وطلاب المعرفة من الحصول عليها وتسهيل السبيل إلى طبعها، حتى تتحقق أمنية مؤلفها في نفع الأجيال المتعاقبة، ووصول الثواب له بعد موته.

---

(١) الإمام الشوكاني مفسرًا: للدكتور محمد حسن بن أحمد الغماري ص٦٢ ـ ٦٣.

(٢) الإمام الشوكاني: حياته وفكره، للدكتور عبدالغني قاسم غالب الشرجبي ص١٩٤ ـ ٢٢٩.

وإليك أشهر مؤلفاته المطبوعة:

١ ـ الدراري المضية شرح الدرر البهية. بتحقيقنا. ن: مكتبة الإرشاد بصنعاء. (١/ ٢).

٢ ـ سلسلة تراث الإمام الشوكاني:

١ / بحث في أطفال الكفار. بتحقيقنا.

٢ / شرح الصدور في تحريم رفع القبور. بتحقيقنا.

٣ / القول المفيد في حكم التقليد. بتحقيقنا.

٤ / جواب على معنى حديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». بتحقيقنا.

٥ / إرشاد السائل إلى دلائل المسائل. بتحقيقنا.

٦ / الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد. بتحقيقنا.

٧ / وبل الغمامة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾. وهي رسالتنا هذه.

٣ ـ نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار. (١/ ١٦)

بتحقيقنا.

٤ ـ السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار. (١/ ٦) بتحقيقنا.

٥ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. (١/ ٢) بتحقيقنا.

٦ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (١/ ١٠) بتحقيقنا.

٧ ـ (وبل الغمام على شفاء الأوام). (١/ ٢) بتحقيقنا.

وغيرها مما سوف يرى النور إن شاء الله قريبًا.

* * *

وصف المخطوط وكيفية الحصول عليه

١ ـ عنوان الرسالة «وبل الغمامة في تفسير ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ .

٢ ـ موضوع الرسالة: تفسير للآية: ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ . . . ﴾ .

٣ ـ الرسالة ضمن مجموعة من رسائل الإمام محمد بن علي الشوكاني.

٤ ـ أول الرسالة: «الحمد لله وحده وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله. وبعد: فإنه لا يزال يقع السؤال على معنى قول الله سبحانه: ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ . . . ﴾ .

٥ ـ آخر الرسالة: «حرر منقولاً من خط المجيب محمد بن علي بن محمد الشوكاني غفر الله له. قال حرر في الثلث الأوسط من ليلة الربوع إحدى ليالي شهر صفر سنة ١٢١٤هـ».

٦ ـ نوع الخط: خط نسخي معتاد.

٧ ـ عدد الأوراق: أربع عشرة ورقة.

٨ ـ المسطرة:

الورقة الأولى عنوان الرسالة واسم المؤلف.

الورقة الثانية والثالثة والرابعة: ١٨ سطرًا.

الورقة الخامسة: ١٩ سطرًا.

الورقة السادسة والسابعة: ١٧ سطرًا.

الورقة الثامنة والتاسعة: ١٨ سطرًا.

الورقة العاشرة والحادية عشرة: ٢١ سطرًا.

الورقة الثانية عشرة: ٢٠ سطرًا.

الورقة الثالثة عشرة: ١٦ سطرًا.

الورقة الرابعة عشرة: ١٥ سطرًا.

٩ ـ عدد الكلمات في السطر: (١١ ـ ١٢) كلمة.

١٠ ـ حصلت على مجموعة الرسائل المخطوطة من فضيلة العلامة القاضي: «محمد بن إسماعيل العمراني» حفظه الله، الذي تكرم بتقديمها إليَّ لأقوم بتحقيقها وتخريجها رغبة في ثواب الله ونشرًا للعلم.

أسأل الله العلي القدير أن يجزل لنا وله وللناشر الثواب، ويجعل عملنا خالصًا لوجهه يوم العرض عليه.

امين.

ويل الغمامة في نقد

وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين
كفروا إلى
يوم
القيامة لمحمد بن علي الحسن [illegible]

[عنوان الرسالة]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله و...
لا يزال يقع السؤال عن معنى قول الله سبحانه وجاعل
الذين اتبعوك فوق الذين كفروا ومحل السؤال من هم هؤلاء
فوق الذين كفروا فاعلم ان سياق الآية الكريمة هكذا
قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين
كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى
ومقتضى الظاهر ان هذه الطائفة كلها التي على
وان المجعولين فوق الذين كفروا هم متبعوه ولكن
الخلاف في المتبعين له من هم هل النصارى ام المسلمين
العلامة في الكشاف انهم المسلمون قال لانهم متبعوه
الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا
عليه من اليهود والنصارى انتهى وتبعه على ذلك صاحب
مدارك التنزيل وحقائق التأويل فقال انهم المسلمون
ذكر كلام الزمخشري بحروفه وكذلك القاضي إلا
الا انه ضم الى المسلمين النصارى فقال اما لفظه
من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الا...
اليهود غلبة عليهم ولم ينتقض لهم ملك ودولة انتهى
الرازي في مفاتيح الغيب ما لفظه وجدوا

[الصفحة الأولى من الرسالة]

فقط وكذلك من قال انهما الفرقتان جميعا وكذلك من قال
ان الفرقة التي وضح الاستعلا عليها هي فرقة اليهود فقط
او الفرقة التي تشترك ما انحرفه من نبوة المسيح او الفرقة التي
مكذبة به فانه قد دخل ما قاله هاؤلاي تحت ذلك العموم //
ومن قال ان الضمير لمحمد صلى فهو يرجع حاصل ما يستفاد
من ذلك الى قول من قال ان الفرقة المستعلية
هم المسلمون ومثل هذا الايضاح
لا يحتاج الى صادق الفهم حتى يستقل الامر حط
المجيب محمد بن علي محمد
الشوكاني غفر الله له قال حرر
من الثلث الاوسط
من ليلة الربوع
احد الليالي
شهر
صفر سنة ١٢١١

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وسلم

[الصفحة الأخيرة من الرسالة]

منهجي في تحقيق الرسالة

١ ـ كُتِبَتْ الرسالةُ من المخطوط ثم راجعتها على المخطوط.

٢ ـ قدمت للرسالة مقدمة قصيرة.

٣ ـ ترجمت بإيجاز للمؤلف رحمه الله.

٤ ـ ترجمت للمفسرين الذين نقل عنهم المؤلف.

٥ ـ عزوت الآيات إلى سورها.

٦ ـ أضفت تعليقات هامة لتوضيح المعاني والغايات التي يتوخاها المؤلف رحمه الله تعالى.

٧ ـ عزوت الأقوال إلى مصادرها إن وجدت، أو إلى من أوردها من العلماء في كتبهم الموجودة.

٨ ـ ألحقت مصادر التحقيق والتخريج في آخر الرسالة.

٩ ـ وضعت فهرسًا للرسالة.

اللهم زِدْنا ولا تَنْقُصْنَا، وأكرِمْنَا ولا تُهِنَا، وأعْطِنَا ولا تحرِمْنَا وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وأرضِنا وارضَ عنا.

اللهم اجعل ما كتبناه في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

كتبه الفقير إلى الله
محمد صبحي بن حسن حلاق
أبو مصعب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله. وبعد.. فإنه لا يزال يقع السؤال عن معنىٰ قول الله سبحانه: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾[1] ومحل السؤال من هم هؤلاء المجعولون فوق الذين كفروا.

فاعلم أن سياق الآية الكريمة هكذا.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1].

ومقتضىٰ الظاهر أن هذه الضماير [كلها لعيسى][2] عليه السلام. وأن المجعولين فوق الذين كفروا هم متبعوه ولكنه قد وقع الخلاف في المتبعين له من هم؟

---

(١) الآية (٥٥) من سورة آل عمران.

(٢) الأولى أن تكون العبارة «كلها تعود على عيسىٰ».

هل النصارىٰ أم المسلمون؟ فصرح العلامة في الكشاف[١]: «أنهم المسلمون، قال: لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى». انتهى.

وتبعه على ذلك صاحب مدارك التنزيل وحقائق التأويل[٢] فقال: «هم المسلمون» ثم ذكر كلام الزمخشري بحروفه. وكذلك القاضي البيضاوي[٣] إلا أنه ضم إلى المسلمين النصارىٰ فقال ما لفظه: «ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارىٰ، وإلى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة». انتهى.

وقال الرازي في مفاتيح الغيب[٤] ما لفظه: «وفيه وجهان: الأول: أن المعنى: أن الذين اتبعوا عيسىٰ على دينه يكونون فوق الذين كفروا من اليهود بالقهر والسلطان والاستعلاء إلى يوم القيامة فيكون ذلك إخبارًا عن ذل

---

(١) (١/ ١٩٢). وستأتي ترجمة الزمخشري ص٤٣.
(٢) (١/ ١٦٠). للإمام النسفي.
(٣) في «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» ص٧٥. وستأتي ترجمة البيضاوي ص٤٢.
(٤) (٨/ ٦٩). وستأتي ترجمة الرازي ص٣٩.

اليهود وأنهم يكونون مقهورين إلى يوم القيامة فأما متبعوا المسيح عليه السلام فهم الذين كانوا يؤمنون بأنه عبدالله ورسوله، وأما بعد الإسلام فهم المسلمون وأما النصارىٰ فهم وإن أظهروا من أنفسهم موافقته فهم يخالفونه أشد المخالفة من حيث أن صريح العقل يشهد بأنه عليه السلام ما كان يرضىٰ بشيء مما يقوله هؤلاء الجهال ومع ذلك فإنا نرىٰ أن دولة النصارىٰ في الدنيا أعظم وأقوىٰ من أمر اليهود بل يكونون أين كانوا فهم في الذلة والمسكنة[١] وأما النصارىٰ فأمرهم بخلاف ذلك». انتهى.

وكلامه هذا قد تضمن أطرافًا:

الطرف الأول: أن المجعولين فوق الذين كفروا هم متبعوا المسيح من النصارىٰ إلى ظهور الملة الإسلامية ومن بعد ذلك هم المسلمون إذ النصارىٰ لو كانوا متبعين لعيسىٰ لكانوا من المتبعين لرسول الله ﷺ لأن شرع عيسىٰ ودينه هو اتباع محمد ﷺ فمن لم يسلم من النصارىٰ فهو وإن كان متبعًا لعيسىٰ قبل ظهور الملة

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى في سورة البقرة الآية (٦١): ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

المحمدية لكنه غير متبع له بعد ظهورها لأن اتباعه لا يتم إلا باتباع الملة المحمدية[١] إذ هو مبشر برسول الله ﷺ كما نطق بذلك القرآن الكريم[٢]. بل جاءت الأدلة الصحيحة الصريحة بأنه ينزل في آخر الزمان[٣] ويدين

---

(١) أخرج أحمد في المسند (٢/ ٣١٧)، ومسلم في صحيحه (١/ ١٣٤ رقم ٢٤٠/ ١٥٣) عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ! لا يسمَعُ بي أحَدٌ من هذهِ الأمَّةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يَمُوتُ ولم يُؤْمِنْ بالذي أُرسِلَتْ بهِ، إلا كانَ مِنْ أصْحَابِ النَّارِ».

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى قول الله تعالى في سورة «الصف» الآية (٦): ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾.

(٣) ● لقوله تعالى في سورة آل عمران الآية (٤٥ ـ ٤٦): ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٤٦﴾.

● ولقوله تعالى في سورة المائدة الآية (١١٠): ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾.

● ولقوله تعالى في سورة النساء الآية (١٥٧ ـ ١٥٩): ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ =

بالشريعة المحمدية.

= وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾ ﴾.

● ولقوله تعالى في سورة الزخرف الآية (٦١): ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾.

● ولقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لَيُوشِكَنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريمَ حَكمًا عدْلاً، فيكسِرَ الصليبَ، ويقتلَ الخنزيرَ ويضعَ الحرب، ويفيض المالُ حتى لا يقبلَهُ أحد، حتى تكونَ السجدةُ الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها». ثم يقولُ أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء: ١٥٩].

أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٠ رقم ٣٤٤٨) و(٦/ ٤٩١ رقم ٣٤٤٩) و(٥/ ١٢١ رقم ٢٤٧٦) و(٤/ ٤١٤ رقم ٢٢٢٢) ومسلم (١/ ١٣٥ ـ ١٣٧ رقم ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦/ ١٥٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة.

قلت: وللمزيد في معرفة الأدلة انظر كتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للعلامة محمد أنور شاه الكشميري الهندي. رتبه تلميذه العلامة محمد شفيع. حققه وراجع نصوصه وعلق عليه الشيخ عبدالفتاح أبو غدة.

وقال أبو السعود[١] ما لفظه: «قال قتادةُ والربيعُ والشعبيُّ ومقاتِلٌ . . . هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينَه من أمة محمدٍ ﷺ دون الذين كذَّبوه وكذبوا عليه من النصارى ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ وهم الذين مكَروا به ومن يسير بسيرتهم من اليهود فإن أهل الإسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون، وقيل هم الروم وقيل هم النصارىٰ فالمراد بالأتباع مجرد الادعاء والمحبة وإلا فأولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام». انتهى.

وقال محمد بن جَزْءٍ الكلبي في تفسيره المسمىٰ «التسهيل لعلوم التنزيل»[٢] ما لفظه: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ هم المسلمون وعلوهم عليهم بالحجة وبالسيف في غالب الأمر وقيل: الذين اتبعوك النصارىٰ وقوله: ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي اليهود فالآية مخبرة عن عزة النصارىٰ على اليهود وإذلالهم لهم». انتهى.

وقال البقاعي في كتاب «نظم الدرر في تناسب

---

(١) في تفسيره «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢/ ٦٩) بتحقيقنا. وستأتي ترجمته ص٣٣.
(٢) (١/ ١٠٩).

الآيات والسور»[١] ما لفظه: «ولما كان لذوي الهمم العوال أشد التفات إلى ما يكون عليه خلائفهم بعدهم من الأحوال بشَّر الله عيسىٰ في ذلك بما يسرُّه فقال: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾[٢] ولو بالاسم فوق الذين كفروا أي ستروا لما يعرفون من نبوتك بما رأوا من الآيات التي أُتيت بها مطابقة لما عندهم من البشائر بك إلى يوم القيامة وكذا كان لم يزل من «تسم بالنصرانية حقًا أو باطلاً فوق اليهود ولا يزالون كذلك إلى أن يعدموا فلا يبقىٰ منهم أحد». انتهى.

فهذا قد جزم بأن المجعولين فوق الذين كفروا هم النصارىٰ ولم يعتبر الاتباع الصحيح الكامل بل مجرد ما يصدق عليه مسمىٰ الاتباع ولهذا قال ولو بالاسم وجعل المراد بقوله: ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[٣] الجاحدين لنبوة عيسىٰ. وقال في المجيد[٤]: «أن الكاف في اتبعوك

---

(١) (٤/ ٤٢١ ـ ٤٢٢). وستأتي ترجمة البقاعي ص٤١.

(٢) سورة آل عمران: الآية (٥٥).

(٣) سورة آل عمران: الآية (٥٥).

(٤) «المجيد في إعراب القرآن المجيد» للسفاقسي ـ مخطوط ـ (٣٥٧/ ب).

● وقال ابن الأنباري في «البيان في غريب إعراب القرآن» =

ضمير عيسىٰ وقيل خطاب للنبي ﷺ وهو من تلوين الخطاب». انتهى.

إذا تقرر لك ما ذكره هؤلاء الأئمة الذين هم المرجع في تفسير كتاب الله عز وجل عرفت أن كلامهم قد تضمن الخلاف في ثلاثة مواطن من الآية الكريمة أعني قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[1].

الموطن الأول:

في تفسير الضمير الذي هو الكاف في اتبعوك. فالجمهور على أنه راجع إلى عيسىٰ عليه السلام وهو ظاهر السياق. فإنه لا خلاف أن الضمير في قوله متوفيك ورافعك ومطهرك

= (١/ ٢٠٦): ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: فيه وجهان:

الأول: «أن يكون معطوفًا على ما قبله لأنه خطاب للنبي ﷺ، وما قبله خطاب لعيسى.

والثاني: أنه معطوف على الأول وكلاهما لعيسى» ا. هـ.

● وانظر «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦).

● ومشكل إعراب القرآن» للقيسي (١/ ١٤٣).

(١) سورة آل عمران: الآية (٥٥).

لعيسىٰ فينبغي أن يكون الضمير في المعطوف وهو: وجاعل الذين اتبعوك مثل الضمير في المعطوف عليه.

وقيل: هو لمحمد ﷺ كما ذكره صاحب المجيد ويؤيد هذا ما أخرجه ابن عساكر[١] عن بعض الصحابة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها لن تبرح عصابة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين علىٰ الناس حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» ثم نزع بهذه الآية أي قرأ بها ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ﴾[٢].

ووجه جعل هذا الحديث مؤيدًا كون ذلك الضمير لمحمد ﷺ أنه ﷺ وصف أمته بتلك الأوصاف ثم قرأ الآية مستدلاً بها على تلك الأوصاف فلو كان الضمير لعيسىٰ لم يصح الاستدلال بالآية. فالحاصل أن السياق يرشد إلى ما قاله الجمهور وهذا الحديث يرشد إلى

---

(١) عزاه لابن عساكر السيوطي في «الدُّرُّ المنثور في التفسير المأثور» (٢/٢٢٦) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٢) سورة آل عمران: الآية (٥٥).

ما قاله غيرهم وسيأتي التصريح بما هو الراجح والجمع بين جميع الأقوال.

الموطن الثاني:

الخلاف في تفسير المتبعين بصيغة اسم الفاعل وقد اختلف في ذلك على أقوال:

الأول: أنهم المسلمون.

الثاني: النصارىٰ.

الثالث: المسلمون والنصارىٰ.

الرابع: الحواريون.

الخامس: الروم.

وقد وردت آثار عن السلف قاضية بأنهم المسلمون.

(فمنها): ما أخرجه عبد بن حميد[١] وابن جرير[٢]

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدُّرُّ المنثور في التفسير المأثور» (٢/٢٢٦).

(٢) الطبري في تفسيره «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٣/ جـ٣/ ٢٩٢).

عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[١]. قال: هم أهل الإسلام الذين اتبعوه على فطرته وملته وسنته فلا يزالون ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة. وأخرج ابن جرير[٢] عن ابن جريج قال: معنى الآية «ناصر من اتبعك على الإسلام على الذين كفروا إلى يوم القيامة». وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عن الحسن قال: «هم المسلمون ونحن منهم ونحن فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة». ومن الأدلة على هذا الحديث المذكور في الموطن الأول[٤].

● ومن الآثار الدالة على أنهم النصارىٰ ما أخرجه ابن جرير[٥] عن ابن زيد في تفسير الآية قال: النصارىٰ فوق اليهود إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٥٥).

(٢) الطبري في تفسيره «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٣/ جـ٣/ ٢٩٢).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدُّرُّ المنثور في التفسير المأثور» (٢/ ٢٢٦).

(٤) وهو ما أخرجه ابن عساكر عن معاوية بن أبي سفيان. كما تقدم ص٢٤.

(٥) الطبري في تفسيره «جامع البيان» (٣/ جـ٣/ ٢٩٣).

● ومن الآثار الدالة على أنهم المسلمون والنصارىٰ ما أخرجه ابن المنذر[١] عن الحسن في الآية قال: «عيسىٰ مرفوع عند الله ثم ينزل قبل يوم القيامة فمن صدق عيسىٰ ومحمدًا صلى الله عليهما وكان على دينهما لم يزالوا ظاهرين على من فارقهم إلى يوم القيامة».

الموطن الثالث:

الخلاف في تفسير ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ المذكورين في الآية. فذهب الجمهور إلى أنهم اليهود وذهب الأقلون إلى أنهم الذين ستروا ما يعرفون من نبوة عيسىٰ وذهب آخرون إلى أنهم الذين مكروا بعيسىٰ.

وإذا قد عرفت الاختلاف بين أئمة التفسير في هذه الثلاثة المواطن فاعلم أن معرفة الراجح من المرجوح لا تتم إلا بعد إمعان النظر في هذه الآية الكريمة. فأقول: لا ريب إن صيغة الذين اتبعوك من صيغ العموم والواجب العمل بما دل عليه النظم القرآني. وإذا ورد ما يقتضي تخصيصه أو تقييده أو صرفه عن ظاهره وجب العمل به وإن لم يرد ما يقتضي ذلك وجب البقاء على معنىٰ العموم. وظاهره

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدُّرُّ المنثور» (٢/ ٢٢٧).

شمول كل متبع وأنه مجعول فوق كل كافر وسواء كان الاتباع بالحجة أو بالسيف أو بهما وفي كل الدين أو بعضه وفي جميع الأزمنة والأمكنة والأحوال أو في بعضها.

والمراد بالكافر الذي جُعِل المتبع فوقه كل كافر سواء كان كفره بالستر لما يعرفه من نبوة عيسىٰ أو بالمكر به أو بمخالفة دينه إما بعدم التمسك بدين من الأديان قط كعبدة الأوثان والنار والشمس والقمر والجاحدين لله والمنكرين للشرائع وإما مع التمسك بدين يخالف دين عيسىٰ قبل بعثة نبينا محمد ﷺ كاليهود وسائر الملل الكفرية. فالمتبعون لعيسىٰ بأي وجه من تلك الوجوه هم المجعولون فوق من كان كافرًا بأي تلك الأنواع. ثم بعد البعثة المحمدية لا شك أن المسلمين هم المتبعون لعيسىٰ لإقراره بنبوة محمد ﷺ وتبشيره بها كما في القرآن الكريم والإنجيل بل في الإنجيل [الأمر باتباع عيسىٰ واتباع محمد ﷺ][١].

فالمتبعون لعيسىٰ بعد البعثة المحمدية هم المسلمون في أمر الدين ومن بقي على النصرانية بعد البعثة المحمدية

---

(١) في المخطوط «الأمر لاتباع عيسىٰ باتباع محمد ﷺ» والصواب ما أثبتناه».

فهو وإن لم يكن متبعًا لعيسىٰ في أمر الدين ومعظمه، لكنه متبع له في الصورة وفي الاسم وفي جزئيات من أجزاء الشريعة العيسوية فقد صدق عليهم أنهم متبعون له في الصورة وفي الاسم وفي شيء مما جاء به وإن كانوا على ضلال ووبال وكفر فذلك لا يوجب خروجهم عن العموم المذكور في القرآن.

ولا يستلزم اندراجهم تحت هذا العموم أنهم على شيء بل هم هالكون في الآخرة وإن كانوا مجعولين فوق الذين كفروا فذلك إنما هو في هذه الدار ولهذا يقول الله عز وجل بعد قوله: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٥٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٥٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧﴾.

فالحاصل أن المجعولين فوق الذين كفروا هم أتباع عيسىٰ قبل النبوة المحمدية وهم النصارىٰ والحواريون وبعد النبوة المحمدية هم المسلمون والنصارىٰ والحواريون والأولون هم الأتباع حقيقة وغيرهم هم الاتباع في الصورة وقد جعل الله الجميع فوق الذين كفروا من اليهود وسائر الطوائف الكفرية.

وقد كان الواقع هكذا فإن الملة النصرانية قبل البعثة المحمدية كانت قاهرة لجميع الملل الكفرية ظاهرة عليها غالبة لها وبعد البعثة المحمدية صارت جميع الطوائف الكفرية نهبًا بين الملة الإسلامية والملة النصرانية ما بين قتيل وأسير ومسَلِّم للجزية وهذا يعرفه كل من له إلمام بأخبار العالم ولكن الله سبحانه قد جعل الملة الإسلامية قاهرة للملة النصرانية مستظهرة عليها وفاءً بوعده في كتابه العزيز كما في الآيات المشتملة على الإخبار بأن جنده هم الغالبون وحزبه هم المنصورون ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[١] ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾[٣].

وقد أخبر الصادق المصدوق بظهور أمته على جميع الأمم[٤] وقهر ملته لجميع الملل وبالجملة إنا إذا جردنا

---

(١) سورة الصف: الآية (١٤).

(٢) سورة المنافقون: الآية (٨).

(٣) سورة النساء: الآية (١٤١).

(٤) يشير المؤلف رحمه الله تعالى، إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣/ ٢٩٣ رقم ٧٣١١) ومسلم (٣/ ١٥٢٣ رقم ١٧١/ ١٩٢١): =

النظر إلى الملة الإسلامية والملة النصرانية فقد ثبت في الكتاب والسنّة ما يدل على استظهار الملة الإسلامية على الملة النصرانية. وإن نظرنا إلى جميع الملل فالملة الإسلامية والملة النصرانية هما فوق سائر الملل الكفرية لهذه الآية التي ورد السؤال عنها.

ولا ينافي هذا شيء مما تقدم ذكره لأن ما ورد مما يدل على أن المسلمين هم المجعولون فوق الذين كفروا هو صحيح لأنهم قد جعلوا فوق جميع الملل بعد البعثة المحمدية ولا يخالف ذلك جعل بعض الملل الكفرية

= عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: **«لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين حتى يأتيهم أمرُ الله وهم ظاهرون»**.

● وإلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٣ رقم ١٧٠/ ١٩٢٠) وأبو داود (٤/ ٤٥٠ رقم ٤٢٥٢) مطولاً والترمذي (٤/ ٥٠٤ رقم ٢٢٢٩) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١٣٠٤ رقم ٣٩٥٢).

عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزالُ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرُّهُم من خذلهم، حتى يأتي أمرُ اللهِ وهم كذلك»**.

● قلت: وفي الباب: من حديث معاوية بن أبي سفيان، وقرة بن أياس، وعمران بن حصين، وجابر بن عبدالله، وعقبة بن عامر، وسلمة بن نفيل الكندي.

وهم النصارىٰ فوق سائر الملل الكفرية. [ولا ملجأ][(١)] إلى جعل الضمير المذكور في الآية وهو الكاف لنبينا محمد ﷺ كما تكلفه جماعة من المفسرين لأن جعله لعيسىٰ كما يدل عليه السياق بل هو الظاهر الذي لا يسعني العدول عنه لا يستلزم إخراج الملة المحمدية بعد البعثة إذ هم متبعون لعيسىٰ كما عرفت سابقًا ولا خلاف بين أهل الإسلام أن الملة النصرانية كانت قبل البعثة المحمدية هي القاهرة لجميع الملل الكفرية فلم يبق في تحويل الضمير عن مرجعه الذي لا يحتمل السياق غيره فائدة إلا تفكيك النظم القرآني والإخراج له عن الأساليب البالغة في البلاغة إلى حد الإعجاز ومن تدبر هذا الوجه الذي حررناه علم أنه قد أعطىٰ التركيب القرآني ما يليق ببلاغته من بقاء عموم الموصول الأول والموصول الثاني وعدم التعرض لتخصيصه بما ليس بمخصص وتقييده بما ليس بمقيد وعدم الخروج عن مقتضىٰ الظاهر في مرجع الضمائر وعدم ظن التعارض بين ماهو متحد الدلالة وإن قلت أي فرق بين هذا التحرير الذي عولت عليه وبين كلام الرازي[(٢)]

---

(١) في المخطوط «ولا ملجىء» والصواب ما أثبتناه.

(٢) هو أبو عبدالله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، التميمي، البكري الطبرستاني، الرازي، الملقب =

في مفاتيح الغيب الذي قدمت نقله؟ قلت: الفرق بينهما من وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن الرازي فسَّر الأتباع المجعولين فوق الذين كفروا بأنهم قبل البعثة المحمدية أتباع المسيح وبعدها المسلمون فقط. والتحرير الذي قدمناه يتضمن أنهم بعد البعثة المسلمون والنصارىٰ باعتبار استعلائهم على سائر الملل الكفرية.

الوجه الثاني: أن الرازي خص أتباع عيسىٰ بأنهم

= بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعي، المولود سنة (٥٤٤هـ). كان رحمه الله فريد عصره، ومتكلم زمانه جمع كثيرًا من العلوم ونبغ فيها، فكان إمامًا في التفسير والكلام، والعلوم العقلية، وعلوم اللغة.. وقد أخذ العلم عن والده ضياء الدين المعروف بخطيب الري؛ وعن الكمال السمعاني، والمجد الجيلي، وكثير من العلماء الذين عاصرهم.. وأهم مصنفاته: تفسيره المسمى «مفاتيح الغيب» و«المحصول» في أصول الفقه.. ومات رحمه الله سنة (٦٠٦هـ).
[انظر «معجم المفسرين» لنويهض (٢/٥٩٦ ـ ٥٩٧)، و«التفسير والمفسرون» للذهبي (١/٢٧٦ ـ ٢٧٧)، ولسان الميزان (٤/٤٢٦ ـ ٤٢٩)].

الذين كانوا يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله والتحرير الذي قدمناه فيه التعميم للأتباع في الحقيقة والأتباع في الصورة وفي بعض الدين كما يقتضيه العموم.

الوجه الثالث: أنه خصص الذين كفروا باليهود فقط والتحرير الذي قدمناه يتضمن التعميم.

فالحاصل أن كلام الرازي قد تضمن تخصيص العمومين بما لا يقتضي التخصيص فإن قلت: أي فرق بين ما قدمت نقله عن البقاعي(١) وبين ما حررته قلت: البقاعي جعل الفرقة المستعلية هي النصرانية من غير تعرض منه لذكر الملة المحمدية بعد البعثة ثم جعل

---

(١) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي الخرباوي البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، مؤرخ، مفسِّر، محدِّث، أديب. ولد بقرية خربة روحا من عمل البقاع بلبنان سنة (٨٠٩هـ) وبها نشأ وتعلم وسكن دمشق ودخل بيت المقدس والقاهرة، ومات بدمشق سنة (٨٨٥هـ). من كتبه: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» في التفسير، ويعرف بمناسبات البقاعي، أو «تفسير البقاعي» و«مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور»..
[انظر «معجم المفسرين» لنويهض (١/ ١٦ ـ ١٧)، والبدر الطالع (١/ ١٩ ـ ٢٢)، ومعجم المؤلفين (١/ ٧١)].

الفرقة التي وقع الاستعلاء عليها هي الفرقة اليهودية، والذي حررناه يخالفه في الوجهين. فإن قلت: أي فرق بين ما قدمت نقله عن البيضاوي(١) وبين ما حررته قلت الفرق من وجهين:

الأول: أنه وإن قال بأن المراد من آمن بنبوة عيسىٰ من المسلمين والنصارىٰ لكنه خصَّص الإيمان بالنبوة وأهمل العموم.

الثاني: أنه جعل الذين كفروا هم اليهود والذي حررناه يخالفه في الوجهين. فإن قلت: أي فرق بين ما نقلته سابقًا عن أبي السعود(٢) وبين ما حررته قلت:

---

(١) هو ناصر الدين أبو الخير، عبدالله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي وهو من بلاد فارس، ولي القضاء بشيراز ومن أهم مصنفاته: كتاب المنهاج وشرحه في أصول الفقه، وكتاب الطوالع في أصول الدين، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير. ومات رحمه الله سنة (٦٨٥هـ).
[انظر التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٢٨٢)، ومعجم المفسرين لنويهض (١/ ٣١٨)].

(٢) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي المولود في سنة (٨٩٣هـ) بقرية قريبة من القسطنطينية، وهو من بيت عرف أهله بالعلم والفضل حتى قال بعضهم فيه: تربى =

الذي ذكره أبو السعود حسبما سلف إنما هو حكاية الأقوال، فالقول الأول خصص الأتباع بالمسلمين وهو مثل ما اختاره الزمخشري[١] وأتباعه، ثم قال: إن الذين

= في حجر العلم حتى ربى. وارتضع ثدي الفضل إلى أن ترعرع وحبا، ولا زال يخدم العلوم الشريفة حتى رحب باعه، وامتد ساعده واشتد اتساعه. قرأ كثير من كتب العلم على والده، وتتلمذ لكثير من جلة العلماء... ثم تولى التدريس في كثير من المدارس التركية، ثم قلد قضاء بروسة ثم نقل إلى قضاء القسطنطينية ثم نقل إلى قضاء ولاية العسكر في ولاية روم أيلي.. وتوفي رحمه الله سنة (٩٨٢هـ). [التفسير والمفسرون (١/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧)].

(١) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، الإمام الحنفي المعتزلي، الملقب بجار الله. ولد في رجب سنة (٤٦٧هـ) بزمخشر، قرية من قرى خوارزم، وقدم بغداد، ولقي الكبار وأخذ عنهم..
ومن مصنفاته: «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»، و«الفائق» في تفسير الحديث، و«أساس البلاغة» في اللغة، و«المفصل» في النحو، و«رؤوس المسائل» في الفقه...
ومات رحمه الله ليلة عرفة سنة (٥٣٨هـ) بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة. [«التفسير والمفسرون» للذهبي (١/ ٤٠٣ ـ ٤٠٥) و«معجم المفسرين» لنويهض (٢/ ٦٦٦)].

كفروا هم الذين مكروا بعيسىٰ والذي حررناه يخالفه في الوجهين وكذلك يخالف ما حكاه من بقية الأقوال في الفرقة المستعلية وهكذا بقية النقول السابقة.

وليس المراد بهذا التنبيه إلا الإيضاح بأن ما حررناه أوفق بمعنىٰ الآية وأدفع للإشكال وأجمع لما قيل من الأقوال ومخالفته لما خالفه ليست إلاّ من حيث اقتصار كل قائل على قول ونفي ما سواه لا من حيث صدقه على جميع ما قيل فلا شك أنه صادق على ذلك إذ من قال مثلاً بأن الفرقة المستعلية هي فرقة المسلمين فقط قد دخل قوله تحت ذلك التعميم.

وكذلك من قال إنها الفرقة النصرانية فقط وكذلك من قال إنهما الفرقتان جميعًا. وكذلك من قال: إن الفرقة التي وقع الاستعلاء عليها هي فرقة اليهود فقط أو الفرقة التي سترت ما تعرفه من نبوة المسيح أو الفرقة التي مكرت به فإنه قد دخل ما قاله هؤلاء تحت ذلك العموم. ومن قال إن الضمير لمحمد ﷺ فهو يرجع حاصل ما يستفاد من ذلك إلى قول من قال: إن الفرقة المستعلية هم المسلمون. ومثل هذا الإيضاح لا يحتاج إليه صادق العهدية.

حرر منقولاً من خط المجيب «محمد بن علي بن محمد الشوكاني» غفر الله له، قال: حرر في الثلث الأوسط من ليلة الربوع إحدى ليالي شهر صفر سنة ١٢١٤.

* * *

ثبت مصادر التحقيق ومراجعه على حروف المعجم

(أ)

١ ـ الإمام الشوكاني: حياته وفكره، للدكتور عبدالغني قاسم غالب الشرجبي، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة الجيل الجديد بصنعاء.

٢ ـ الإمام الشوكاني مفسرًا: للدكتور محمد حسن بن أحمد الغماري، ط. دار الشروق.

٣ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي: للعلامة عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط. دار الجيل.

(ب)

٤ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للعلامة محمد بن علي الشوكاني، ط. دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥ ـ البيان في غريب إعراب القرآن: لأبي البركات بن

الأنباري، تحقيق د. طه عبدالحميد طه، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(ت)

٦ ـ التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، ط. عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٧ ـ التسهيل لعلوم التنزيل: لمحمد بن جزء الكلبي، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٨ ـ التصريح بما تواتر في نزول المسيح: للعلامة محمد أنور شاه الكشميري الهندي، رتبه العلامة محمد شفيع، حققه وراجع نصوصه وعلق عليه الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، ن. مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط. دار السلام.

٩ ـ تفسير أبي السعود، «أو» إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لمحمد العمادي الحنفي، حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه وضبط نصه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق، ط. دار الفكر ـ بيروت (١/ ٧).

١٠ ـ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): للإمام الفخر الرازي، ط. دار إحياء التراث العربي.

١١ ـ التفسير والمفسرون: تأليف د. محمد حسين الذهبي،

ن. مكتبة وهبة.

(جـ)

١٢ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط. دار الفكر.

١٣ ـ الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر: للجزء الأول والثاني وتحقيق وتخريج وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، للجزء الثالث، وتحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، للجزء الرابع والخامس، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(د)

١٤ ـ الدُّرُّ المنثور في التفسير المأثور: للإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، ط. دار الفكر.

(س)

١٥ ـ سنن أبي داود: للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ومعه كتاب معالم السنن: للخطابي، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، ط. دار الحديث، بيروت، لبنان.

١٦ ـ سنن الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، ط. دار الفكر.

(ص)

١٧ ـ صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(ف)

١٨ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(ل)

١٩ ـ لسان الميزان: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ن. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

(م)

٢٠ ـ المجيد في إعراب القرآن المجيد: للسفاقسي، مخطوط،

بدار الكتب الظاهرية بدمشق رقم (٥٣٠) عام.

٢١ ـ المسند: للإمام أحمد بن حنبل، ط. المكتب الإسلامي.

٢٢ ـ مشكل إعراب القرآن: لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السواس، ط. دار المأمون للتراث.

٢٣ ـ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، تأليف عمر رضا كحالة، ن. مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤ ـ معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، تأليف عادل نويهض، قدم له الشيخ حسن خالد، ط. مؤسسة نويهض الثقافية.

(ن)

٢٥ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، الهند.

* * *

الفهرس

* * *